الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

كلية الشريعة والاقتصاد

قسم الفقه وأصوله

الملتقى الدولي حول: "المدينة والتطور العمراني في ضوء فقه العمران والاجتماع البشري"، المنظم من طرف الكلية بالتنسيق مع قسم الفقه وأصوله، والمنعقد يومي الأربعاء والخميس 24 و25 شعبان 1442هـ الموافق 07 و08 أفريل 2021م

البعد الصحي الجمالي بالمدن الإسلامية –نحو ارتفاقات إنسانية بيئية –

د. الزهرة لحلح

أستاذ التعليم العالي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

د. فاطمة سوالمي

أستاذ محاضر أ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

الملخص:

يحفل التراث المعماري الإسلامي من خلال مدنه بالاعتبارات البيئية الصحية والجمالية التي تصدرت الشروط المعتمدة في التخطيط لإنشاء المدن الإسلامية أو التوسعات العمرانية عموما، وهذا جلبا لأصل دفع المضار كما يقول ابن الأزرق ويقصد بها دفع المضار السماوية أو البيئية التي تحقق الصحة والراحة النفسية والجسمية، ولذا كان التركيز بها على تحصيل الأماكن الملائمة لطبيعة السكان ومزاجهم لتحقيق عمران بشري قائم في مدن طيبة غير موبوءة.

ولقد ورد بالقرآن الكريم ما يجعل طيب المدينة وكثرة خضرتها من أفضل متع الإنسان بتجمعاته العمرانية ومدنه، لقوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ"[1]

وليس يتحصل طيب العيش بالمدن وتمام العمران البشري إلا بمقصدي الصحة والجمال التي يتعالق حولهما الارتفاق الإنساني البيئي من خلال الحرص على إقامة توازنات بيئية تستند بالأساس إلى وعي الإنسان بمسؤوليته

1-سورة سبأ، الآية15.

تجاه عناصر بيئته حفظا وتعهدا ضمن علائق العدل والاتزان الذي هو بالأساس مضمون الفعل الاستخلافي الإنساني من خلال تجمعات عمرانية أو مدن تضج بالصحة والجمال وهذا من صميم المرجعية الإسلامية، فحينما هاجر النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى المدينة جعل موضع السوق على أطراف المدينة بعيدا عن المناطق السكانية حفاظا على نظافة وصحة العمران البشري بها من ضوضاء البيع والشراء، وكذا مخلفات تلك المعاملات بنفاياتها وروائحها المؤذية.

وهذا ما أتاح للمدن الإسلامية عبر مشهدها التاريخي مبدأ الاستدامة عن طريق إنشاء الأفنية في البيوت وبين المنازل، وتضييق الشوارع دفعا لسير العربات والدواب وتحقيقا لمبادئ الخصوصية والجوار والاهتمام بالبيئة القائمة على الارتفاقات الإنسانية البيئية داخل العمران الإسلامي، إلى حدود هذا الكلام نصل إلى إشكالية الملخص على النحو الآتي:

– ماهي مضامين ومقاصد البعد الصحي الجمالي بالمدينة والعمران الإسلامي؟

– كيف يمكن لتلك الارتفاقات الإنسانية البيئية أن تسهم في تحقيق توازنات مدنية بيئية من شأنها تعميق خصوصية المدينة بالعمران البشري الإسلامي القائم بالأساس على مقصدي الصحة والجمال؟

خطة الدراسة: 1–مقدمة

2–ضبط مفاهيم الدراسة

3–علاقة الخصوصية بتخطيط المدن الإسلامية

4–مضامين وأبعاد الصحة والجمال بالعمران البشري الإسلامي

خاتمة

Title of Intervention:

The aesthetic and health dimensions of Islamic cities Towardshumanitarian and environmental benefits

Abstract :

The Islamic architectural heritage through its cities is full of healthy environmental and aesthetic considerations, that topped the approved conditions to plan the creation of Islamic cities or urban expansion in general to avoid the damages as says IbnAlazrak. Where he means to avoid heavenly or environmental harms to achieve health and psychological and physical comfort and therefore the focus was on

obtaining suitable places for the nature and mood of the population, to achieve human urbanization that exists in good, unaffected cities.
It was mentioned in the Quran that what makes a city good and greenery the best pleasures of human gatherings and urban cities, god says:
“ Indeed, there was a sign for ˹the tribe of˺ Sheba in their homeland: two orchards—one to the right and the other to the left. ˹They were told:˺ “Eat from the provision of your Lord, and be grateful to Him. ˹Yours is˺ a good land and a forgiving Lord.”

The good life and the fullness of human development cannot be achieved without tow objectives, health and beauty around which the human-environmental sympathy is intertwined by ensuring the establishment of ecological balances based primarily on the awareness of man’s responsibility towards the elements of his environment.in order to preserve and pledge within the relations of justice and balance, which is basically the content of the human successive action through urban gatherings or cities brimming with health and beauty.and this is at the heart of the Islamic reference. When the Prophet - may God’s prayers and peace be upon him - migrated to the city, he made the market place on the outskirts of the city away from the residential areas in order to preserve the cleanliness and health of human urbanization from the noise of buying and selling. As well as the remnants of those transactions with their waste and odors.
This is what allowed Islamic cities, through their historical scene, the principle of sustainability by establishing courtyards in homes and between homes, and narrowing the streets to push the movement of vehicles and animals, and to achieve the principles of privacy and

neighborhood and care for the environment based on human environmental comforts within Islamic urbanism following:

- What are the contents and purposes of the aesthetic health dimension in the city and Islamic urbanism?

- How can these human-environmental amenities contribute to achieving civic-environmental balances that would deepen the city's specificity with Islamic human urbanization based mainly on the objectives of health and beauty?

Study plan: 1- Introduction

2- Adjusting the study concepts

3- The relationship of privacy with the planning of Islamic cities

4- The implications and dimensions of health and beauty in Islamic human urbanization

Conclusion

المقدمة:

تندرج الأطر المعرفية والمنهجية بورقتنا البحثية ضمن الإحداثيات الجمالية والصحية للبعد العمراني الإسلامي وفق الارتفاقات البشرية البيئية من حيث التناول الإسلامي للمعطيات العمراني، حيث نلحظ وثيق الصلة بين المرجعية العقدية والفقهية لتلك الخصوصية من حيث احتفاء المتون التراثية باعتبارات الجمال والصحة في تشييد العمران.

وتنبثق تلك الخصوصية عن مرجعية عقدية صرحت في مصادرها القطعية بأن الإنسان هو الخليفة لقوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[2] وهذا يعني أن الخلافة هي بالأساس أن الخلافة هي مهمة وجودية تنصرف لتنفيذ مراده تعالى في الأرض وإجراء أحكامه فيما ائتمر بها أمرا وانتهاء عما نهى بما يؤكد أن ممارسة الخلافة في الأرض يجب أن تكون وفق ضوابط الرفق والارتفاق، وهذا يستلزم التعامل مع الكون والبيئة بما يحقق الاستخلاف على نحو الارتفاق باستثماره ، وذلك من خلال تشييد تجمعات عمرانية متميزة راعت المعطيات البيئية وزاوجت بين الاعتبارات الصحية والجمالية والأبعاد الوظيفية.

2-سورة البقرة، الآية: 30

أولا: تعريف المدينة

اختلف الباحثون حول تحديد الجذر اللغوي لكلمة المدينة كما اختلفوا في تحديد مفهوم المدينة باختلاف المواصفات التي تحدد نوع المدينة ووظيفتها وخصائصها الحضارية.

1-لغة: استعملت كلمة مدينة في اللغة للدلالة على عدة معان:

أ- مكان الاقامة والاستقرار، يقال مدن بالمكان اي أقام به، ومنه المدينة وجمعها مدائن ومدن[3]

ب- الحكم والقضاء، هي مشتقة من دان يدين، اي يحكم، وديان يقصد بها القاضي في اللغة الآرامية والعبرية، وهذا التفسير يوافق ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وما أشارت إليه بعض المعاجم العربية، "فقد وضح من التفسير القرآني أن كل المواضع التي أطلق عليها لفظ مدينة كان عليها حكام وملوك، وفيها على وجه التحقيق الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية، فجاء تمييز المدينة عن القرية في القرآن الكريم على أساس سمة التقاضي التي أشار إليها اللفظ الآرامي سلفا"[4].

وجاء في الحديث الشريف الديان ويقصد بها الملك أو الحاكم، فقد أورد كل من البخاري وابن حنبل حديثا عن جابر بن عبد الله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: " يوم يحشر العباد -أو قال الناس- حفاة عراة عزلا ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقصه منه... " وفي حديث آخر عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم —وهو على المنبر يقول: "يأخذ الديان سماواته وأرضه بيده" وقبض يده وجعل يقبضها ويبسطها"[5]

وفي القرآن الكريم جاء ذكر المدينة في عدة مواضع منها قوله تعالى: " يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ"[6] والمقصود هنا المدينة المنورة[7]

ج-المصر: ورد ذكرها في القرآن الكريم للدلالة على المدينة الكبيرة كما في قوله تعالى: "اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ"[8] والمراد بالمصر هنا هي مصر فرعون أي مدينة فرعون[9]

3-ابن منظور، لسان العرب، ج13ن ص402

4-مصطفى الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية، الرشيد، 1982، ص3لا5لا5

5-علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، الكتاب العربي، بيروت، ج10، ص354.

6- سورة المنافقون الآية: 8

6-ابن كثير،تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، ط2، دار طيبة للنشر، 1430هـ/1999م، ج8، ص128

8 - سورة البقرة، الآية: 61

9-ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص281.

واستعمل الفقهاء كلمة "مصر" مرادفا لمعنى المدينة فقد ذكر أبو حنيفة: "أن صلاة الجمعة إنما تختص بها الأمصار دون غيرها، وأنه لا تجوز إقامتها في القرى، واعتبر أن المصر هو ذلك المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود وقاض ينفذ الأحكام"[10]، ويوافق هذا التعريف ما جاء في تعريف بعض الجغرافيين للمصر حيث يذكر المقدسي: "هوكل بلد جامع تقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه"[11]

ومن الناحية المادية يكشف ابن منظور أن المدينة: "هي الحصن يبنى في أصطمة من الأرض وكل أرض يبنى عليها حصن في أصطمتها فهي مدينة"، والأصطمة معظم الشيء وتمامه"[12]

د- ومن منظور اجتماعي يقول الفيروزابادي إن: ‘‘المدينة تعادل الأمة"[13]في إشارة منه إلى ضرورة توفر الهيئة الاجتماعية التي تعد من العوامل الرئيسية لإقامة المدينة

هـ-مدينة رسول الله —صلى الله عليه وسلم-، فقد أطلق النبي —صلى الله عليه وسلم لفظ المدينة على يثرب، ونقل السمهوري في كتابه "وفا الوفا بأخبار المصطفى"أن ابن زبالة[14] وابن شيبة[15] رويا أن النبي- صلى الله عليه وسلم- نهى عن تسمية المدينة يثرب، وأن البخاري ذكر في تاريخه حديث من قال يثرب مرة فليقل المدينة عشر مرات، وروى أحمد بن حنبل وأبو يعلى حديثا جاء فيه: "من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا"[16]

2-تعريف المدينة اصطلاحا:

اختلف العلماء في وضع مفهوم شامل ودقيق لمعنى المدينة وذلك للأسباب الآتية:

-أن المدينة من المفاهيم التي تشترك فيها حقول معرفية عديدة منها علم الاجتماع الحضري وعلم الجغرافيا وعلم التاريخ وعلم الاقتصاد وغيرها من العلوم.

-اختلاف المعايير المعتمدة في تحديد المدينة حيث يرتبط مفهوم المدينة عند البعض بالمدلول الحجمي الذي يعتمد بالأساس على العنصر الديمغرافي أو الكثافة السكانية، ويعتمد البعض الآخر على المدلول الوظيفي والدور الوظيفي

10-محمد جمال الدين القاسمي، إصلاح المساجدمن البدع والعوائد، ط4، نشر المكتب الإسلامي، 1399هـ، 49-54

11-المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 1960، ص47.

12-ابن منظور، لسان العرب، ج13ن ص402.

13-محمد عبد الستار عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1988، ص16.

13 -هو محمد بن الحسن بن أبي الحسن القرشي المخزومي المدني، ويعرف بابن زبالة بفتح الزاي وتخفيف الموحدة أي على زنة (سحابة) نسبة لمنطقة زبالة الواقعة في أطراف المدينة المنورة، يعد أول من صنف في تاريخ المدينة المنورة ووصف الحياة العمرانية بها بكل تفاصيلها منذ نشأتها وحتى عصر المؤلف في القرن الثاني الهجري، توفي سنة 199هـ، أنظر محمد ابن زبالة، أخبار المدينة، تحقيق ودراسة: صلاح عبد العزيز بن سلامة، ط1، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ/2003م، ص24.

- هو أبو يزيد عمر بن شيبة النميري البصري، ولد سنة 173هـ، أجمع من ترجم له على أنه ثقة في كل ما يروي، كان عالما بالسير له

15 -تصانيف كثيرة منها كتاب تاريخ، توفي سنة 262هـ، المصدر نفسه، ص18.

16-السمهوري،وفا الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد عبد المجيد، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 11406هـ/1985م، ص173.

الذي تقوم به المدينة، بينما يركز البعض على الخصائص السوسيولوجية في تمييز المدينة عن غيرها من الأماكن السكنية الأخرى كالقرى والأرياف.

3-مفهوم المدينة في الفكر الغربي:

يرى الباحث في علم الاجتماع الأمريكي روبيرت بارك (Robert park) أن المدينة "ليست مجرد تجمعات من الناس مع ما يجعل حياتهم فيها أمرا ممكنا، مثل الشوارع والمباني ووسائل المواصلات، كما أنها ليست مجموعة من النظم والإدارات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات المدنية من أي نوع، إن المدينة فوق كل هذا كله اتجاه عقلي، مجموعة من العادات والتقاليد، إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد" [17]

وفي تعريف آخر يقول بارك عن المدينة: " أنها منطقة طبيعية لإقامة الإنسان المتحضر، لها أنماط ثقافية خاصة بها، حيث تشكل بناء متكاملا يخضع لقوانين طبيعية واجتماعية على درجة عالية من التنظيم لا يمكن تجنبها"[18]

وفي تعريف مواطنه لويس ويرث (Louis wirth)يصف المدينة قائلا: "هي عبارة عن موقع دائم للإقامة يتميز بكبر الحجم وارتفاع الكثافة السكانية، يسكنه أفراد غير متجانسين اجتماعيا"[19]

أما عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر(Max weber) فيرى أن المدينة هي: "ذلك الشكل الاجتماعي الذي يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة وملموسة في اساليب وطرق الحياة، مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية، وهي بذلك وسيلة للتعبير الاجتماعي التاريخي" [20]

ويرى البعض الآخر في المدينة: "قطب انجذاب لمختلف فئات المجتمع وخصوصا المستضعفة منها بسبب توفرها على مركز السلطة والمعرفة والمرافق الترفيهية العامة فالمدينة بصورة عامة تمثل الرقي والمدنية"[21]

أما من الناحية القانونية فقد تم الاعتماد في تعريف المدينة على المدلول الإحصائي والوظيفي كما يتضح من المادة الثالثة من القانون رقم 06/06 المتضمن القانون التوجيهي للمدينة الذي ينص على أن المدينة هي: "كل تجمع حضري ذو حجم سكاني يتوفر على وظائف إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية"[22]

4-مفهوم المدينة في الفكر الإسلامي:

يقول المقدسي عن المدينة: "هو كل بلد جامع تقام فيه الحدود، ويحله أمير ويقوم بنفقته، ويجمع رستاقه"[23]

17-اليسد عبدالمعطي سيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003/، ص313.

18-المرجع نفسه، ص315.

19 -محمد عاطف، مرجع سابق، ص134.-

20-محمد عاطف، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص129.

- 1 M. Cote,L'Algérie ou l'espace-détourne, média plus, Alger 1993

22-قانون المدينة06/06 المؤرخ في 2006/02/20م

أما ابن قدامة فيعتمد على المدلول الاجتماعي والوظيفي في تحديد المدينة فيذكر: " ضرورة وجود تجمع سكاني وطبقات عديدة مختلفة في الصناعات والمهن"[24]

ويرى القزويني أن البشر لو اجتمعوا: "في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر، ولو تستروا في الخيام لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب كما ترى في القرى التي لا سور لها لم يأمنوا صولة ذي بأس، فأكرمهم الله باتخاذ السور والخندق، فحدثت المدن والأمصار، واتخذوا للمدن سورا حصينا، وللسور أبوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج، واتخذوا لها قهندارا (أي قلعة) لمكان ملك المدينة، وفي البلاد الإسلامية المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات"25

وبالنظر إلى هذه المحاولات المقدمة لتحديد مفهوم المدينة سواء عند العلماء المسلمين أم عند علماء الغرب نجدها متطابقة من حيث دلالتها المتصلة مباشرة بالمقاييس والمعايير المعتمدة في تمييز المدينة عن غيرها من مناطق الاستيطان الأخرى.

مفهوم المدينة الإسلامية:

أكثر ما يميز المدينة الإسلامية كما ذكر القزويني هو وجود المساجد والجوامع ذلك أن المدينة في الخبرة الإسلامية لم تظهر نتيجة وجود تجمع بشري بل انبثقت عن عقيدة دينية وممارسة إيمانية سعت لإقامة عمران في ضوء التعاليم الإسلامية التي تدعو للوحدة والتعاون بين أفراد المجتمع لتحقيق الاستقرار والتساكن والحياة الإنسانية الكريمة والارتفاق مع الكون.

ثانيا: تعريف الارتفاق البيئي:

الارتفاق هو مصدر "رفق" والفعل ارتفق، يقال: ارتفق به: انتفع واستعان، وارتفقت بالشيء، انتفعت به، وأرفقه أنفعه. والاستعانة بالشيء، والمرفِق والمرفق ما استعين به، ومنه قوله تعالى: "ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا"[26]، أي ما يرتفقون به وينتفعون بحصوله. والارتفاق، الاتكاء على مرفق اليد، ومنه قوله تعالى: "بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا"[27]. أي متكأً ومنزلاً، أو مجتمعًا وموضعاً للارتفاق.

ويقال: عامله برفق: بلطف، برقة رفقا به، ومنه اللهم رفقا بعبادك: دعاء المسلمين إلى الله أن يلطف بعباده ووصية النبي–صلى الله عليه وسلم بالنساء في قوله: "رفقا بالقوارير" الذي يفيد اللطف ولين الجانب وحسن المعاملة.[28]

23- محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1906م، ص47-

24-قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م، ص432..

25-زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص8/7.

26- سورة الكهف، الآية: 16

27- سورة الكهف، الآية: 29

28-ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص128

وبالجمع بين المفهومين (الارتفاق والبيئة) نخلص إلى أن المراد بالارتفاق البيئي هو الاستعانة والانتفاع بالبيئة وذلك باستثمارها والاستفادة من عناصرها بما ينفع الناس أفرادا وجماعات من غير أن نسيئ لها أو نلحق الضرر بها أي أن نرفق بها ونحسن الصنيع لها.

ويعد الارتفاق البيئي من المبادئ الإسلامية التي ساهمت في وضع مجموعة من القيم والضوابط التي تقيد بها المعمار المسلم في إقامة العمران وبناء المدن.

ثالثا: المدينة الإسلامية وتحقيق مبدأ الخصوصية:

تعد العمارة الإسلامية تجربة هندسية حضارية تعاملت مع المدن والمنشآت كآليات لتلبية احتياجات وتطلعات السكان المادية والمعنوية، وتعد الخصوصية من الاحتياجات الضرورية لحياة الإنسان ومن المضامين الإسلامية التي ميزت الحياة العمرانية في الإسلام، حيث اعتبرها من الحقوق الشخصية ووضع لها جملة من الشروط تضمن حرمتها والحفاظ عليها لقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا"[29]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:« من حُسن إسلام المرء تركهُ ما لا يعنيه »رواه الترمذي

وقال أيضًا: «لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» رواه الترمذي.

والخصوصية كمفهوم واضح الدلالة فهي تعني كل متعلقات الإنسان الشخصية " على المستوى الشخصي ستر العورة والملبس وملكية الحرم الخاص للمسكن والدفاع عنه، وعلى المستوى العام تعني خصوصية الاتصال والتواصل واحترام خصوصية الآخرين وعدم انتهاكها بالنظر أو بالسمع وقد بين الدين الإسلامي الكثير من المبادئ التي تحمي وتصون حرية الفرد وخصوصيته واحترام خصوصية الآخرين وحريتهم"[30]

وتتعلق الخصوصية بالحصول على قدر كاف من الحرية والانغلاق على النفس بعيدا عن متابعة ومراقبة وفضول الآخرين ليتمكن الفرد من العيش براحة واستقلالية، يقول chapin "إن الخصوصية هي أن تحس بانفرادك بعيدا عن ضغط الآخرين" ويقول kuperkira:" إن الخصوصية هي منع التطفل والعلاقات الغير مرغوب فيها سواء السمعية أم البصرية أو بكافة وسائل الاتصالات"[31].

-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، ص236

29- سورة الحجرات،الآية:12

30- محمود محمد إدريس .الخصوصية الدلالة والمفهوم في تشكيل الفراغ المعماري في البيئة السكنية.مجلة جامعة الملك سعود ،م7 العمارة والتخطيط ،الرياض 1415 هـ 1995م.

31-المرجع نفسه.

ونعني بالخصوصية في المفهوم العمراني مجموعة المفردات والعناصر التي تحدد هوية العمران بالمدن الإسلامية وتميزها عن غيرها من العمائر الأخرى كالعمارة لرومانية والعمارة الفارسية.

وكانت الخصوصية من أهم المحددات الأساسية في العمارة الإسلامية وتحديدا التجمعات السكنية لذلك اجتهد المعماري المسلم في البحث عن صيغة معمارية للسكن الذي يلبي المتطلبات الحياتية في ضوء التعاليم والقيم الإسلامية، لذا حرص على استخدام تفاصيل تصميمية خاصة بالبيئة الداخلية منها:

1-المدخل المنكسر:

المدخل المنكسر يعتبر من الحلول العمرانية التي لجأت إليها العمارة الإسلامية لتحقيق الراحة والسكينة لأنه يحافظ على حرمة البيت ويحجب الرؤية عن الموجودين بداخله ويقيهم من الفضول، ويعتبر بمثابة الممر الذي يمر عبره الإنسان تمهيدا للانتقال من العالم الخارجي ومن صخب الشارع وضوضائه إلى العالم الداخلي وهدوء البيت وراحته، فهو بمثابة الحاجز الذي يفصل الفراغ الخارجي عن الفراغ الداخلي الخاص بالأسرة.

وقد بينت المصنفات الفقهية أن الغرض من إنشاء المدخل المنكسر هو تأمين الخصوصية للفراغات الداخلية حيث ذكر ابن الرامي في مصنفه "الإعلان بأحكام البنيان" أن "المدخل المنكسر يحقق غرض الوقاية من الكشف" وأغلب مداخل المنازل القديمة "منكسرة بزاوية 90 درجة لمنع رؤية أهل البيت من الزقاق أو الحارة عن طريق الباب المفتوح، وقد استعملت المداخل المنكسرة بكثرة في منازل الفسطاط وبغداد على سبيل المثال".[32]

وطبقا للقاعدة الإسلامية" لا ضرر ولا ضرار" فإن انتهاك الخصوصية بالفضول أو بكشف العورات يدخل في إطار الضرر ولذلك "كان تنكيب الأبواب الخارجية للتكوينات المعمارية المطلة على شوارع وطرقات المدينة مظهرا معماريا تطبيقيا لأحكام الفقه الإسلامي التي دعت إلى ذلك حفاظا على عدم كشف حرمات المنازل من خلال هذه المداخل"[33].

وتضمنت المصادر الفقهية في العمران العديد من المسائل الفقهية التي نؤكد على توفير الخصوصية وعدم كشف العورات، فقد" أصدر الخليفة عمر رضي الله عنه أمرا بعدم التطاول في البنيان عند بناء البصرة، كما قام الفقهاء بإصدار أحكام تمنع المؤذن من الصعود إلى المؤذنة التي ترتفع عن البيوت المجاورة ويكشف عورات قاطنيها. فقد سئل "سحنون" عن مؤذن ينظر من مؤذنة جامع على عورات البيوت المجاورة: هل يحق لسكان هذه البيوت التي يفصلها عن الجامع شارع أن يمنعوا المؤذن من صعود المؤذنة؟ فكانت إجابته بمنع المؤذن من الصعود مادام صعوده يتسبب في ضرر"[34]

كما أفتى الفقهاء بمنع إنشاء باب مقابل باب أو إنشاء حانوت مقابل باب منعا للضرر" بل إن هذه النوعية من المنشآت تمثل أقصى درجات الضرر في هذا المجال. فالحانوت يمثل مركز خدمة عامة يتجه إليه المجتمع لشراء ما

---

32 - محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، 1978م، ص304

33-المرجع نفسه، ص305

34-ابن الرومي،مصدر سابق، ص106.

يحتاجون، ووجوده في مواجهة منزل يعرض أهل هذا المنزل لعيون المتعاملين مع هذا الحانوت والعاملين فيه بصفة مستمرة "[35]

وعلى مستوى الأفراد داخل الأسرة الواحدة قسم المسكن الإسلامي إلى أجزاء كما هو الشأن في البيت العثماني " الذي أصبح يتضمن قسم مخصص للرجال واستقبالاتهم، ويضم القاعات والمجالس والمقاعد المخصصة لذلك بمرافقها وهو ما أطلق عليه (السلاملك)، وقسم آخر يشتمل على غرف المعيشة وقاعات النوم ومرافقها وأطلق عليه (الحرملك) نسبة إلى الحريم، والقسم الثاني وزعت غرفاته بين أجنحة متكاملة كوحدات مستقلة، ووزعت قاعات النوم توزيعا خاصا يكفل الخصوصية بين أفراد الأسرة الواحدة"[36]

ومن الناحية الوظيفية ساهم المدخل المنكسر في المعالجة المعمارية لبعض الظروف البيئية كتخليص الهواء من الأتربة والشوائب العالقة به عندما يمر بالمداخل المنكسرة ويصطدم بجدرانها.

2-الفناء الداخلي:

هو من عناصر البناء التي ساهمت في توفير الخصوصية للمسكن الإسلامي وذلك بالتوجه للداخل.

والفناء في اللغة هو السعة أمام العقار سواء كان بيتاً أو غرفة من الدار أو الدار نفسها، قال ابن منظور:"هي الساحات على أبواب الدور، وفناء الدار ما امتد من جوانبها"[37]

ويعرف الفناء الداخلي على أنه: " حوش داخلي أو منور يترك في وسط مسطح المبنى لإضاءة وتهوية وحدات المبنى الداخلية، وقد يكون المنور محاطا بوحدات المبنى من أربعة جوانب، أو من ثلاثة جوانب"[38]

ويعد الفناء الداخلي من العناصر الثابتة والمتواجدة باستمرار في مختلف العمارة الإسلامية سواء كانت دينية أو مدنية فهو في المساجد والمباني الدينية عبارة عن مساحة مكشوفة محاطة بالأروقة أو الأواوين، وفي المساكن محاط بالحوائط أو الأسوار.[39]

واستخدم الفناء في فتح النوافذ والشرفات المطلة عليه تجنبا لصعوبة فتحها على الشوارع الخارجية، كما استخدم كعنصر اتصال وحركة للربط بين أجزاء المنزل المختلفة بالإضافة إلى استخدامه في الأغراض المعيشية المتنوعة، والفعاليات الاجتماعية المختلفة واعتبر منطقة منفعة جماعية في حالة تقسيم المنزل أو سكناه.[40]

كما يعتبر من التفاصيل المعمارية التي روعي في إنشائها التوافق والارتفاق مع البيئة حيث يعمل على تحقيق الظل وتلطيف الجو في المناطق الحارة وذلك من خلال إدماج عنصر النباتات والأشجار وعنصر الماء. حيث يعمل الفناء

35-المرجع نفسه، ص305

36- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مرجع سابق، ص306-307.

37-ابن منظور، لسان العرب ج4، ص123.

38-عبد الجواد محمد توفيق، معجم العمارة وإنشاء المباني، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص57.

39-ابن الرامي، مصدر سابق، ص 174 .

40-محمد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، 303

في هذه الحالة "كوعاء لحفظ الهواء البارد ليلا وإتاحة إمكانية تبريد الفراغات الداخلية من خلال فتح النوافذ المطلة على الفناء"[41]

ويرتبط وجود الفناء في المباني السكنية بتحقيق المقصد الإنساني والروحي والجمالي حيث يضفي على الأسرة شعورا بالراحة والمتعة والسمو الروحي إذ أن رؤية الشمس والخضرة والماء والنظر إلى السماء والنجوم يعد بمثابة لوحة فنية اقتطعت من الخارج لتزيين داخل المسكن الإسلامي، قال تعالى: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ"[42]

رابعا: الاعتبارات الصحية في بناء المدن الإسلامية:

يمتاز التشكيل العمراني للمدينة في فترة العصور الاسلامية بوجود عناصر معمارية متميزة تعبر عن محاولة الفكر المعماري إيجاد بيئة معمارية ملائمة للصحة البدنية والنفسية للإنسان، وهذا من صميم المرجعية الإسلامية، فحينما هاجر النبي –صلى الله عليه وسلم–جعل موضع السوق على أطراف المدينة بعيدا عن المناطق السكانية حفاظا على نظافة وصحة العمران البشري بها من ضوضاء البيع والشراء وكذا مخلفات تلك المعاملات بنفاياتها ورائحتها المؤذية.

ومن الاعتبارات الصحية في بناء المدن اختيار المواقع ذات الهواء الصافي النقي، ويؤكد القزويني على ضرورة بناء المدن في الأماكن ذات الهواء النقي لما له من أهمية في تعزيز الصحة الجسمية والنفسية للإنسان "فيذكر في حديثه عن الطائف أنها طيبة الهواء شمالية، ربما يجمد ماؤها في الشتاء، قال الأصمعي: "دخلت الطائف وكأني أبشر، وقلبي ينضح بالسرور، ولم أجد سببا إلا انفساح جوها وطيب نسيمها"[43]

وفي حديثه عن صنعاء يؤكد القزويني على الارتباط الوثيق بين جودة منتوجاتها وصفاء هوائها، حيث يقول: "اللحم يبقى بها أسبوعا لا يفسد" وذكر في أصفهان: "أنه لطيب هوائها يبقى بها التفاح غضا سنة، والحنطة لا تسوس، واللحم لا يتغير"[44]

وفي موضع آخر يشير القزويني إلى أن الهواء النقي يساعد على الحماية من الكثير من الأمراض مستدلا بكلامه على هواء صنعاء التي وصفها بقوله:" بأنها قليلة الآفات والعلل، قليلة الذباب والهيام إذا اعتل إنسان في غيرها ونقل إليها يبرأ وإذا اعتلت الإبل وأرعيت في مروجها تصح"[45]

ومن العناصر الطبيعية التي ساهمت في توفير البيئة الصحية للإنسان عنصر الماء الذي ساهم بامتياز في التكوين العمراني والجمالي في كثير من المدن الإسلامية الأصيلة منها صنعاء وقرطبة والقاهرة وفاس.

41-المرجع نفسه.

42-سورة النحل، الآية:80

43 -القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص27.

44-المصدر نفسه.

45-المصدر نفسه، ص50

وكان توجيه النبيّ ﷺ بوقف بئر رومة نموذجاً احتذى به المسلمون في مختلف بقاع الأرض، وعلى مر العصور.

وسجلت كتب الحكمة السياسية الماء على رأس قائمة تضم ستة شروط ضرورية لعمارة المدن، وهي: سعة المياه المستعذبة، وإمكان الميرة المستمدة، واعتدال المكان الموافق لصحَّة الهواء والتربة، والقرب مما تدعو الحاجة إليه من المراعي والأحطاب، وتحصين المنازل من الأعداء والزعار، وأن يحيط بالمدينة سواد (أرض زراعية خصبة) تعين أهلها بموادها"[46]

وقد انضوت هذه الشروط الستة على مجموعة من الحقوق الأساسية الواجب توفرها لسكان المدن لكي ينعموا بحياة هادئة ومستقرة وآمنة.

ومن المنشآت العمرانية المرتبطة بالصحة العامة للسكان الحمامات التي تعتبر من أهم المرافق العمومية التي اشتهرت بها المدن الإسلامية حيث تحتل الحمامات المرتبة الثانية بعد المسجد الذي خصص لطهارة الروح وصفاء النفس، نظرا لارتباطها بالنظافة البدنية التي تعتبر شرطا لبعض العبادات كالصلاة، قال تعالى: "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ"[47]

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم النظافة نصف الإيمان، حيث قال: «الطهور شطر الإيمان»[48]

ولقد تحكمت المبادئ الإسلامية في تصاميم الحمامات وذلك بالحرص على طهارة الماء" مما استوجب تصميم أحواض الماء وقنواته بطريقة معينة تكفل ذلك، كما نظمت الأحكام الفقهية العمل داخل الحمامات. وخضعت لإشراف المحتسب خضوعا مباشرا يكفل استمرار عملها وفق القواعد الإسلامية. وتمشيا مع هذا الاتجاه أنشئت حمامات خاصة للنساء وأخرى للرجال، وألحقت بعض المجموعات المعمارية الدينية الضخمة حمامات خصصت لخدمة أهلها بالإضافة إلى خدمة العامة"[49]

وتحدثت المصادر التاريخية عن كثرة الحمامات بالمدن الإسلامية، فقد ذكر اليعقوبي أن بغداد كان بها عشرة آلاف حمام، وأحصاها ابن كثير بستين ألف حمام بإزاء كل حمام خمسة مساجد، وإن كان بعض المستشرقين قد شككوا في هذا العدد أمثال (المستشرق فرانسوا ميشو) في دراسته عن بغداد فإنها بالرغم من ذلك تدل على أن الحمامات العامة كانت من العناصر المهمة في التكوينات المعمارية للمدينة الإسلامية كالقاهرة وفاس وقرطبة وغيرها[50]

إضافة لدورها الكبير في النظافة البدنية تقوم الحمامات بمهام أخرى تحدث عنها الكوكباني في (حدائق التمام في الكلام عن الحمام) وهي النظافة والعلاج من بعض الأمراض، وضمان الخدمات عن طريق منبر الإدارة، والمِخْلَع

46- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق: رضوان السيد (بيروت: 1989) ص219

47-سورة التوبة، الآية: 108

48-رواه مسلم (233) والترمذي وابنة ماجه.

49-محمد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص222.

50-المرجع نفسه، ص223.

والمخزن وخزائن الأمانات، ويتحدث عن قواعد العمارة برفع مستوى الحمام، وتنظيم مجاري المياه والإكثار من فتحات الإضاءة في القباب[51]

والاهتمام ببناء الحمامات يعكس اهتمام الإسلام بصحة الأبدان وبالكيان المادي للإنسان الذي كلف للقيام بمهمة الإستخلاف الذي أراده الله للإنسان في هذه الحياة. وبهذا لم يغفل القرآن اهتمامه بالجانب المادي في الإنسان حيث نظر إليه باعتباره كلا لا يتجزأ، وبالجمع بين البعدين (الروحي والمادي) تحقق إنسانية الإنسان التي يتعامل بها مع موجودات الكون تعاملا إيجابيا وفعالا يعود بالنفع والخير عليه على جميع الموجودات من نبات وجماد وحيوان.

لقد أدرك المعماري المسلم بفضل عقيدته الدينية أن الإنسان وإن اختلف عن بقية عناصر الكون بالعقل وبالسر الإلهي الذي أهله لتصدر قائمة الموجودات إلا أنه يشترك معها في صفات الإيجاد ونعمة الإمداد لقوله تعالى: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"[52]، ضمن وتيرة علائقية تنساق بأريحية مع فطرة الإنسان.

ولذلك عمل على توظيف معطيات الطبيعة والبيئة في إنتاج تصاميم عمرانية لصالح الإنسان إلى جانب تحقيقها لمبدأ الحفاظ على البيئة وعدم الإضرار بعناصرها في إطار علاقة التسخير وغاياتها، حيث اعتمد عمارة متناغمة مع البيئة روعي فيها المحددات البيئية كالتربة والمناخ والمواد المتوفرة في البناء، ويؤكد ذلك ما ذكره الجغرافيون "أن الحجاج لما عزم على بناء مدينة كلف عددا من الأطباء أن يختاروا موضع مدينة فبحثوا حتى عثروا له على موقع المدينة التي سمِّيت بـ "واسط"، ووصفوا له الموقع بأنه "أوفق من موضعك هذا (الكوفة) في خفوف الريح وأنف البرية"، وكان من وصية الحجاج أن يكون اختيار المكان على ضفة نهر، ولما وجد فريق العمل المكان المناسب أبلغوا رئيسهم بهذا فذهب إلى هناك فبات في هذه البقعة "واستطاب ليلها واستعذب أنهارها واستمرأ طعامها وشرابها" ثم رفع تقريره إلى الحجاج فبُنيت واسط.[53]

خامسا: الجمال وتخطيط المدينة الإسلامية

يعد الجمال بالمدن الإسلامية انعكاسا للارتباط الوثيق بين الفكرة الدينية والتصميم العمراني، ذلك أن تذوق الجمال هو استعداد فطري جبلت عليه الطباع وأن إدراك الجمال المودع في الكون يعد من الأسباب المؤدية إلى معرفة خالق الكون ، إذ أن إدراك النفس لحقيقة الجمال المبثوث في ثنايا الكون المنظور يفضي إلى التآلف الروحي وما ينجم عنه من علاقة الحب والود مع الكون قال تعالى: " أَفَلَمْ يَنظُرُوا إلى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأرض مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[54]، وقال تعالى:"وَالأرض وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ

51.-ابن تغردى، النجوم الزاهرة، ج10، ص224

52 -سورة الأعراف، الآية: 156

49- ياقوت الحموي: معجم البلدان 348/5"

54 -سورة ق، الآية: 6-7.

الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"[55]

فالقرآن يشيد بجمال الكون وبهجته وباعتباره من النعم المسخرة للإنسان لاستخدامه في التعمير والبناء والإصلاح وعدم إلحاق الضرر بمكوناته أو تشويه جماله وهذا من صميم الارتفاق البيئي الذي روعي في التصاميم العمرانية بالمدن الإسلامية

وفي هذا السياق حددت الأفعال التي تسبب الضرر في المدن الإسلامية في ثلاث: هي الدخان والرائحة الكريهة والصوت المزعج وهذا عملا بقول الرسول ﷺ «لا ضررَ ولا ضرار».

وقد كان لهذا الحديث تأثيرا كبيرا على المنتج العمراني المديني الذي التزم بما انطوى عليه هذا المبدأ الإسلامي من المعايير الصحية والجمالية التي تحقق الحياة الطيبة، حيث تم إبعاد المنشآت التجارية والصناعية المسببة للضرر إلى خارج المدينة.

كما تم اعتماد بعض القواعد المنظمة لبعض المنشآت التجارية كالأسواق، وتذكر بعضُ كتبِ الآداب السلطانية والسياسة الشرعية قاعدة التخصص والتصنيف للسلع والحرف بحيث يسمح للسلع المتشابهة بأن تكون مجاورة لبعضها البعض كسوق العطارين وسوق الأقمشة والملابس وسوق الخياطين وسوق الصاغة، ويحدث التباعد بين السلع التي يضر وجودها بسلع أخرى مجاورة لها، "ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود النار كالخباز والحداد كان على المحتسب أن يبعد حوانيتهم عن العطارين والبزارين لعدم المجانسة بينهم وحصول الأضرار"[56]

ولقد عمل المعماري المسلم على نقل الإحساس بالجمال وتذوقه إلى الواقع والممارسة، تجسد ذلك في شكل القباب الأنيقة والمآذن المتعرجة إلى السماء والمحاريب الهندسية الرائعة وغيرها من مفردات المسجد التي وثقت الصلة بين العبادة والجمال بما تضمنته من معايير جمالية تمثلت في الاعتدال والتناغم والانسجام والتوافق، وهذا التوجه الجمالي منشؤه التوجيه القرآني الذي وجه الانسان الى الكون لمشاهدة آيات الجمال المنثور والمبثوث في الكون، من ذلك قوله تعالى:" أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ"[57] "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[58]

ومن مظاهر الجمال العمراني وجود عنصري الماء والخضرة بالمساكن والمباني الخاصة، فغالبا ما كانت تتوسط الفناء الداخلي فسقية أو نافورة أو بركة الماء محاطة بالنباتات والأشجار ذات الروائح الزكية في ربط منسق بين الماء واللون الأخضر في منظر خلاب رائع مما يسر النظر ويشرح النفس ويبهجها.

55-سورة إبراهيم ، الآية: 32-34.

56- محمد عبد الستار، مرجع سابق، ص233.

57-سورة ق، الآية: 6

58-سورة النحل، الآية: 14

وهكذا استطاع المعماري المسلم أن يحقق لساكنه بيئة توفر له الراحة والخصوصية والجمال بالداخل، وتمده بالطاقة والفعالية لممارسة نشاطاته بالخارج. مصداقا لقوله تعالى: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ"[59]

ووجود الفسقية بالفناء الداخلي لها رمزية ذات دلالات روحية إيمانية "فالمنزل بالنسبة للمسلم كان عبارة عن تكوين صغير، وباستخدام الرمز والعناصر المعمارية للتعبير عن نظرته الكونية كان يعتبر القبة رمز السماء، ولهذا ولكي يشد قبة السماء إلى وسط الدار ويجعل قدسيتها تتسرب إلى الحجرات، فإنه عمِل الفسقية على شكل القبة الساسانية مقلوبة لتنعكس السماء الحقيقية على أسطح المياه في هذه السماء الرمزية."[60]

كما يتجلى المقياس الإنساني والجمالي في تفضيل العمارة الداخلية على العمارة الخارجية، ولقد أستطاع المعمار الإسلامي أن يجعل من داخل المبنى عالما خاصا بساكنه يحقق له الراحة والسكينة والمتعة، ولذلك كان اهتمامه بجمال الداخل وتزيينه بمختلف التفاصيل المعمارية كالفراغات والزخارف والخطوط، بخلاف المظهر الخارجي الذي كان بسيطا متواضعا لأسباب كثيرة منها، كما يذكر ابن خلدون بساطة البيئة الصحراوية التي تفتقر للعناصر المعمارية المتنوعة المرتبط بسجايا أهلها في بساطة العيش والدعة[61]

ومنها ما يرتبط بتكوين "الشخصية العربية الإسلامية التي تتسم بالبساطة والتواضع المظهري والغنى والقوة في الروح والمحتوى. وتجلت بها الإيقاعات الهندسية باعتماد الأنماط والتفاصيل الزخرفية البسيطة التي تعتمد الخط العربي مع وجود محورية عالية وتماثلية واضحة على محور واحد أو محورين، لخلق أشكال هندسية نقية"[62]

ومن عناصر الجمال في المدن الإسلامية المشربيات:

والمقصود بالمشربية ذلك الجزء البارز عن سمت حوائط المباني على هيئة صندوق يمتد من الجزء السفلي أو الطابق الأرضي إلى الطابق العلوي، وتتكون من ألواح خشبية صممت على شكل شبكة متقاطعة من القضبان الخشبية ذات فراغات مختلفة الأشكال من مربعة أو مستطيلة أو مثلثة تستخدم لتغطية النوافذ والفتحات الخارجية.

واختلفت المصادر حول أصل كلمة "مشربية" وسبب تسميتها، فالبعض رجح أن الكلمة مشتقة من كلمة "مشربة "وتعني الغرفة مستندا إلى شكلها الذي يشبه غرفة صغيرة بارزة عن سمت الجدار، والبعض الآخر يرى أن كلمة مشربية تحريف لكلمة "مشربة وجمعها مشربات" أي الإناء الذي يشرب منه.

كما عرفت "المشربية" باسم "المشرفية" بالفاء بدلا من الباء لإشرافها على الشارع، ويطلق عليها في العراق اسم الشناشيل، كما عرفت في العصر المملوكي باسم "روشن" أو "رواشين" تعريب للكلمة الفارسية "روزون "ومعناها

59-سورة النحل، الآية: 80.

60-عفيف بهنسي، تاريخ الفن والعمارة العربية، ص43.

57-ابن خلدون، المقدمة، ص120

62-طالب حميد، الماضي والمستقبل ونظرتنا للعمارة المعاصرة، ندوة الخصوصية الوطنية، بغداد 1989، ص133-144.

الفتحة في سقف البيت أو الغرفة التي ينفذ منها الضوء كالشرفة. ولا يزال يطلق علها هذا الاسم في بعض الدول الإسلامية والعربية مثل السعودية.[63]

وتعد من الصيغ المعمارية النابعة من احتياجات الإنسان، حيث عملت المشربية على توفير الخصوصية للفراغ الداخلي وربطه بالبيئة الخارجية دون فقدان عامل الخلوة الذي يمنح لأهل المنزل الشعور بالاطمئنان والراحة[64]، إضافة لدورها في ضبط درجات الحرارة عن طريق التحكم في سرعة الهواء وتدفقه داخل المسكن، وضبط مرور الضوء للتخفيف من أشعة الشمس باستعمال أحجام وحدات الخرط الخشبي والفراغات الموجودة بينها [65]

كما يستفاد من قاعدة المشربية في تبريد أوعية الشرب الفخارية، حيث تصف عليها من الداخل بفعل تعرضها لمرور الهواء باستمرار، بالإضافة إلى اللمسة الجمالية التي تضفيها المشربية على واجهات المباني مما أكسب الشوارع والمدن الإسلامية قيمة جمالية.

الخاتـمة:

في ختام هذه الورقة البحثية خلصنا لجملة من النتائج نذكر منها:

1- الالتزام بآراء العلماء ووصاياهم في تخطيط المدن ساهم بشكل كبير في الحفاظ على الصحة النفسية والعقلية للسكان، فاختيار المواقع ذات الهواء النقي وإبعاد المنشآت العامة المسببة للضرر إلى خارج المدن وغيرها من القواعد المنظمة للعمران بالمدن الإسلامية مما يخدم مقصد الحياة الطيبة والعيش الكريم.

2- تصاميم المباني في العمارة الإسلامية قدمت حلولا بيئية وجمالية لظروف مناخية واجتماعية كاستخدام الفناء المحاط بالنباتات والحدائق المنزلية لتلطيف الجو وتنقية الهواء، والمدخل المنكسر لتأمين الخصوصية و حماية المبنى من الغبار والأتربة العالقة بالهواء.

3-المعمار المسلم عمل على تطويع التصاميم العمرانية بما يتناسب مع قيم وعادات المجتمع الإسلامي فأنتج عمارة متجهة نحو الداخل بخلاف ما نراه اليوم من تطويع العادات والقيم لتنسجم مع التصميم المدني المعاصر المنفتح على الخارج مما يعرض ساكنيه لعوامل خارجية غير مرغوب فيها كفقدان الخصوصية والتعرض لمؤثرات مناخية وحرارية.

4-المتتبع للموروث المعماري يجد توفر المباني السكانية على عناصر معمارية ذات وظائف متعددة مناخية ونفسية واجتماعية وجمالية كعنصر المشربية والفناء.

63-المرجع نفسه، ص128.

64-الع د.م يحي وزيري، العمارة الإ5سلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة، 1978م، ص131.

65-المرجع نفسه، ص129.

ملحق صور توضيحية

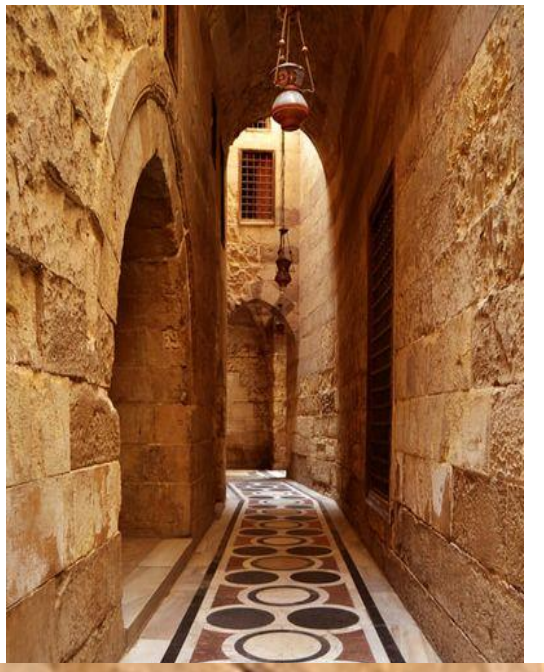

الصورة رقم1 -2 :

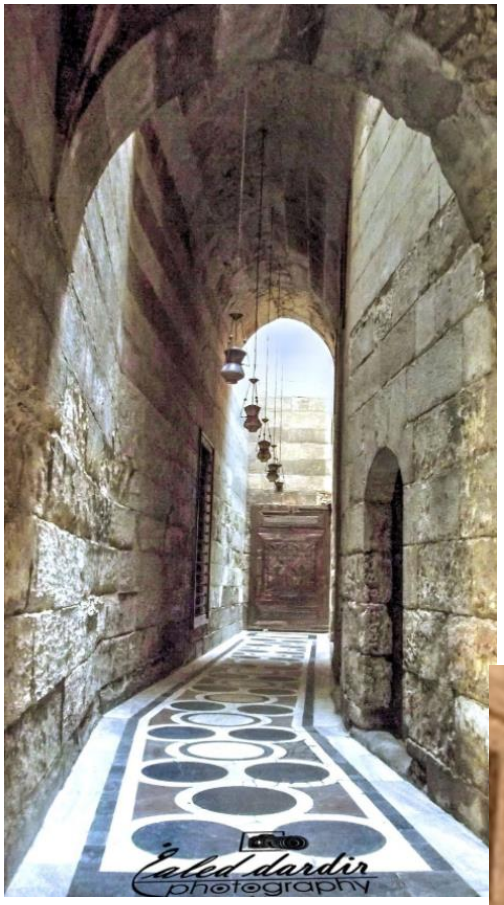

المدخل المنكسر

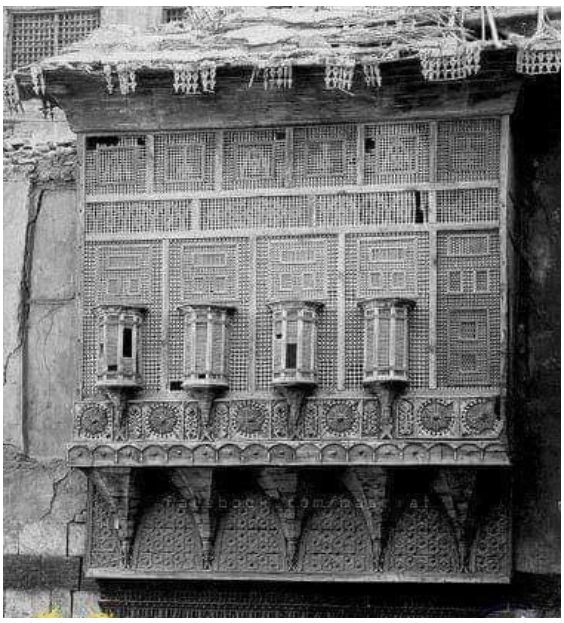

الصورة رقم 3-4 :المشربية

الصورة رقم 5-6: الفناء

قائمة المصادر والمراجع

[1] -السمهوري،وفا الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد عبد المجيد، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 11406هـ/1985م.

[2] -السيد عبد المعطي سيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م.

[3] -الفيروز آبادي، القاموس المحيط.

[4] -القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

[5] – الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق: رضوان السيد بيروت: 1989م

[6] –المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 1960م.

[7] – ابن تغردى، النجوم الزاهرة.

[8] – ابن خلدون، المقدمة

[9] –ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، ط2، دار طيبة للنشر، 1430هـ/1999م.

[10] – ابن منظور، لسان العرب

[11] –د.م يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة، 1978م.

[12] –زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

[13] – طالب حميد، الماضي والمستقبل ونظرتنا للعمارة المعاصرة، ندوة الخصوصية الوطنية، بغداد 1989م.

[14] –عبد الجواد محمد توفيق، معجم العمارة وإنشاء المباني، مؤسسة الأهرام،القاهرة.

[15] –علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، الكتاب العربي، بيروت، ج10.

[16] –قانون المدينة06/06 المؤرخ في 2006/02/20م

[17] –قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.

[18] – محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1906م.

[19] –محمد جمال الدين القاسمي، إصلاح المساجدمن البدع والعوائد، ط4، نشر المكتب الإسلامي، 1399هـ.

[20] –محمد عاطف، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م

[21] –محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، 1978م

[22] –محمد عبد الستار عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1988م.

[23] –محمود محمد إدريس، لخصوصية الدلالة والمفهوم في تشكيل الفراغ المعماري في البيئة السكنية، مجلة جامعة الملك سعود،م7 العمارة والتخطيط،الرياض 1415 هـ 1995م.

[24] – مصطفى الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية، الرشيد، 1982.

[25] - ياقوت الحموي: معجم البلدان

[26] - 1 M. Cote,L'Algérie ou l'espace-détourne, média plus, Alger 1993